والمذكر قد أسهما في إنتاج اللغة وتوظيفها. وهما متساويان في هذا الحق الفطري الأولي. غير أن الأمر أخذ في التغيير حينما جرى اكتشاف الكتابة. وجاءت الكتابة لتكون نمطاً مفتعلاً في صناعة اللغة وتقنية الخطاب، والشاهد التاريخي يشير إلى أن الرجل هو سيد الكتابة، ولا يحفظ التاريخ أية أمثلة عن وجود نسوي فاعل مع اللغة المكتوبة. ومن هنا فإن الرجل وجّه مسار الملفوظ اللغوي نحو وجه خاص تحكّم الذكور فيه وخلدوه عن طريق نقشه وحفره في ذاكرة الحضارة، وصار الحضور المذكر هو جوهر اللغة وتعمقت الذكورة في اللغة عبر الكتابة حتى صارت وجهها وضميرها. وكلما تصاعد المستوى اللغوي تعمقت معه الذكورة، فقمة الإبداع هي الفحولة، مثلما أن قمة التفكير اللغوي يوجد الفلسفة وهي مهارة اختص بها الذكور واحتكروها لهم دون النساء إلى درجة أن أحد الرجال سخر من سؤال عن دور النساء في الفلسفة فقال: (أجل... هان شأن الفلسفة حتى نلتمسها بين حيض وبيض، وشدة انفعال وغيظ)[26].

ولا شك أن الفلسفة قد ولدت في مجتمع ذكوري متشدد في ذكوريته وفي تعاليه على الأنوثة، لدرجة أن سيد الفلسفة الإغريقية أفلاطون كان يأسف أنه ابن امرأة وظل يزدري أمه لأنها أنثى[27]. وكان يرى أن الحب الحقيقي هو ما كان بين الرجل والرجل، ويرى الجمال المبهج في الشبان، وللمجتمع أن يكافيء الرجال المحاربين بأن يمنحهم نساء جائزة لهم على شجاعتهم[28].

---

(26) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: مقابلة صحفية معه في مجلة (اليمامة) العدد 1263 في 24/1/1414 هـ ص 9.

(27) نقلاً عن مي زيادة: كلمات وإشارات 34.

(28) فؤاد زكريا: دراسة لجمهورية أفلاطون 99-101 دار الكاتب العربي، القاهرة 1967 وانظر: جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار العلوم، بيروت 1980.